

فلما وصلنا اليه ، تأبطت ذراعها وأخذت أصعد بها الدرجات ، التي دحرجوها عليها من قبل عشرين عاما ، وأنا احسب نفسي عريسا في ساعة الدخلة .
القيت الاعوام العشرين الماضية في صندوق القمامة في ساحة الدرج وصعدت الى المنزل وأنا اطيح بجناحين من يعاد .
وكنت اهتف : ها نحن نعود عودة المنتصرين !

وكان الجيران يفتحون ابواب بيوتهم محيين ومستفهمين . فكانت تركض الى جانبي وهي ترد التحية وتقول متباهية : عمي بعد غياب العمر !
فأطلقت جارة زغرودة الحقتها الجارات الاخريات بزغاريد متلاحقة كتلاحق صفارات السفن في ميناء حيفا ليلة رأس السنة .
فلما دخلنا المنزل قالت يعاد وهي مبهورة النفس : استرح ، ايها المنتصر . أما انا فأعود اسيرة !

وسألت : لاي شيء زغردت النساء ؟

قلت : لعودتك .

— أسيرة ؟

— زائرة .

— فما يفرحهم ؟

— السجناء يهللون ذمّونهم ويتزينون ويفرحون في يوم الزيارة .

قالت : ما هذا وقت الفرحة .

— حتى فرحة الزيارة تبخلين بها على هؤلاء السجناء ؟

قالت : كيف تأتي الفرحة بنعمة الغازي ؟

فأجبت : كما ينضج الطعام بنعمة النار .

فلما سألتني : من أين أتتك هذه الحكمة ؟

أجبتها : من يوم ما شكسبرني حراس السجن .

وحكيت لها حكايتي معهم وكيف التقيت اخاها في الزنزانة فسمعت منه كلاما جعلني

ارى الزنزانة جنة وقضبان الكوة جسرا نحو القمر .

فكانت تضحك تارة وتبكي تارة . وتقول : اخبرني عن يعادك ؟ فأروي لها حكايتنا

القديمة . واقول : هنا جلسنا . وهنا ، في هذه الغرفة ، ظلمت يا شيطانة مستيقظة

تنتظريني وانا منكم الانفاس في الغرفة المجاورة ، لانني اهل ، حتى جاء العسكر .

— العسكر يطوقون الدار !

هذا ما سمعته من الجارة ، التي اقتحمت علينا الباب دون استئذان فوجدتني جاثيا

على اربع تحت قدمي يعاد امثل وشعتي الاولى عن الدرج ، قبل عشرين عاما ، ويعاد

تضحك .

فلم أقم من جثوتي .